أهمية الصورة في النزاعات الدولية

الأستاذ عبد الحق بن جديد

قسم العلوم السياسية

جامعة باجي مختار – عنابة

مقدمة:

لقد غيرت ثورة الاتصال الحديثة المشهد الإعلامي والاتصالي العالمي، حيث تعددت القنوات الفضائية، وعممت شبكات الانترنت، وتطورت وسائل الاتصال بشكل لافت للانتباه، كما أن انهيار المنظومة الاشتراكية واستفراد مجمعات متكتلة اقتصاديا وماليا بالسوق العالمي والولايات المتحدة بالقرار السياسي الدولي، جعل وسائل الإعلام تتخلى تدريجيا عن وظيفتها التقليدية كسلطة رابعة مضادة، لتتحول إلى سلطة أولى كما يقول أحد الباحثين. ولا تواجه هذه السلطة الإعلامية المخيفة بقوتها والمرعبة بهيمنتها لا تواجهها أية سلطة مضادة ناجحة، ولا أي نفوذ قادر على تقويمها وإصلاحها وتأديبها ومعاقبتها عندما تخطيء، كل ذلك يتم باسم حرية الإعلام.

إن هذا التحول الكبير في وسائل الاتصال من سلطة رقابة على الحكومات وضمير للمجتمع، إلى سلطة نفوذ غير محدودة، قد تم بسبب نسيج العلاقات الممتد الذي أصبح يربط القائمين عليها وإعلامييها بمراكز صناع القرار السياسي والعسكري والاقتصادي؛ وما يمليه هؤلاء من سياسات وتوجهات إعلامية تقع في نطاق نفوذهم ومصالحهم وإستراتيجياتهم، ومن ضمنها وضع وسائل الإعلام والاتصال في دائرة تأثيرهم.

لقد أصبحت وسائل الاتصال في ظل تشابك المصالح وهما أكثر منها حقيقة، لأنها فقدت استقلالها وموضوعيتها، وتحولت إلى منابر للدعاية ولتضليل الرأي العام الوطني والدولي، باستثناء القليل منها.

وتعتمد عملية التضليل هذه على التقنيات المعروفة والمستحدثة مثل تسريب المعلومات الخاطئة، والإشاعات الكاذبة، والتلاعب بالمصادر والصور، والإيهام بالموضوعية.

لقد عبر كثير من المفكرين عن تخوفهم من سلطة وسائل الإعلام والاتصال التي لا تحدها أية سلطة أخلاقية، ولم تعد تحكمها أخلاقيات المهنة، ومن بينهم المفكر الفرنسي "**ريجيس دوبريه Regis Dubré**" الذي يقول[1] : "إن الصحفيين يخيفونني ويربكونني .... إنني أحس بالشعور ذاته الذي يمكن أن نحس به أمام محققي التفتيش في القرن الثالث عشر، أو أمام أساتذة القرن الثامن عشر، إنهم أناس قادرون على إدانة البشر وتكفيرهم

إن القائمين على الدعاية يدركون أهمية الصورة في تحقيق مآربهم، لأن النص يبدأ في ساحات العقل[2]. فأمام الصور يبتعد المشاهد عن التحليل السياسي المنهجي المتعقل، لأن العين هي أشد الحواس تأثرا، ولا تحتاج إلى دليل لأنها تشاهد حقيقة مثالية رغم أنها قد لا تكون كذلك. وهنا تأتي خطورة الصورة لأنها تسيطر على الأحاسيس والمشاعر، وتمزجها مع الحالة الذهنية مفضية إلى استنتاج يصعب تغييره. هذا الاستنتاج هو أصلا انطباع أولي، ونحن ندرك أن الانطباع الأولي كثيرا ما يضلل عبر التعميم، تلقي الحدث ناقصا، و إذا سيطرت الصورة على الخبر تعطي معلومة ناقصة، ويبدو المتلقي أكثر انفعالا وتأثرا مع الأحداث العاطفية ذات الصور المبهرة، فلا يصبح لتفاصيل الخبر وسياقاته معنى ذا قيمة[3].

صحيح أن الصورة تعطي الحدث الآني كما هو ناصع الوضوح، لكنها لا تعطي الحقيقة كاملة، بل قد تكون حقيقة مشوهة بعيدة عن سياق الأحداث وتاريخها، لا تكترث بالحيثيات والمعطيات وسياق الأحداث، وما يتداخل معها من نزاع المصالح وتناحر الكيانات المختلفة وتاريخها، ليغدو الخبر الجزئي المبهر الصورة أهم وأكثر تأثيرا من الخبر الأساسي ذي الصورة الباهتة. فالصحف التي تعتمد في الأساس على الخبر المكتوب أصبحت تتبارى على وضع أكثر الصور إثارة للمشاعر وبحيز يفوق حجم كتابة الخبر[4].

لقد بدت العمليات العسكرية في العراق في بدايتها في شكل مسلسلا من صور الفضائيات، تراها في قناة الجزيرة بمشاهد تخص توجهاتها لجمهور معين، وفي قناة فوكس Fox على نقيضها، ولا تكاد تسمع إلا ما يؤيد المشاهد المنحازة غير التحليلية فصور فاقعة لصاروخ أمريكي يضرب حيا سكنيا، أو عمارة بها صحفيون يصبح قصفا مدبرا متعمدا في قناة الجزيرة، ويغدو خطأ في قناة أخرى، ويغيب تماما في قناة CNN التي لا ترى فيها إلا التفوق الأمريكي لصور تظهر من بعيد دون مشاهدة ضحايا من المدنيين أو الأطفال[5].

لقد أصبحت الصورة أهم مصدر للمعلومة وتداعياتها، الشيء الذي دعا المفكر الفرنسي" **ريجيس دوبريه** " إلى القول[6]: " إذا كان أساس السلطة هو الإقناع، فإن الصورة توفر اليوم قدرة إقناعية لم يسبق لها مثيل، فمن يتحكم بإنتاج وتسويق الصور يتحكم في المجتمع كله".

إن التغطية الإعلامية والصور المنقولة هي التي تسوغ النزاع، بل هي النزاع ذاته، لأن الانطباعات التي تنشأ منها لا تؤثر في عموم المشاهدين فحسب، بل تؤثر في أصحاب القرار أيضا.

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية من الدول الرائدة التي أعارت اهتماما بالغا للصورة بحكم طموحاتها والدور الذي تريد أن تضطلع به في العالم، فقد سعت الولايات المتحدة عبر سنوات طويلة من أجل ترسيخ صورة القوة العسكرية المفرطة، وضعت عبر أفلامها الروائية صورة للجندي الأمريكي الذي لا يقهر، وبالرغم من أنها كانت من أواخر الدول التي لحقت بركب الحرب العالمية الثانية، فإنها من أكثر الدول التي قدمت أفلاما عن تلك الحرب، فقد كانت تسعى من أجل تدعيم صورتها، كقوة عسكرية فائقة.

وأنهت الولايات المتحدة الحرب بصورة فيلمية تجسد مفهوم " الرعب " الواجب إطلاقه في أذهان العالم أجمع، فقد قدمت صورة انفجار قنبلة " **هيروشيما Hirochima** " الذي دمر المدينة وأباد عددا كبيرا من أهلها، وخلف وراءه آثارا مرعبة من الدمار والتشويه، وكانت هي الرسالة المطلوب إرسالها إلى كافة الدول والشعوب(7).

ومثلما كانت الصورة إحدى أهم أسلحة الولايات المتحدة في فرض صورة القوة التي لا تقهر، فقد كانت إحدى أهم أعدائها أيضا، إن ما حدث في 11 سبتمبر 2001 كان له أثر سلبي على الصورة الافتراضية الأمريكية (الفيلمية)، حيث شاهد العالم أجمع الهجوم المباغت والمدمر على برجي التجارة العالمية ومبنى البنتاجون، ورأى الطائرات المدنية وهي تخترق البرجين فتحولهما ركاما، وشاهد كل مظاهر الفزع والهلع والرعب بادية على وجوه الأمريكيين، فسقطت مع صور هذا الانهيار الاستخبارات والأمن الأمريكية، والتي كانت دائما قادرة على إلحاق الهزيمة بكل أعدائها والوصول إلى أي مكان في أرجاء المعمورة .

إن قوة الصورة في هذا القرن تضاهي قوة القنابل، بهذا أصبحت النزاعات تدار من خلال الصور وقد تبين أنها تؤدي دورا لا يستهان به في حسم النزاعات للطرف الذي يجيد استخدامها.

*** دور وسائل الاتصال في صياغة صورة العدو:**

صورة العدو هي نوع من التنميط القائم عل الاختزال والتضخيم والتحيز والتعميم، وعادة ما تشتق من مزيج من أفعال وتصرفات هذا العدو وإدراك المتلقين، وهو

ما يضفي على مثل هذه الصورة مزيجا من الدقة على بعض الجوانب والتحيز في جوانب أخرى.

وتعد صورة العدو مصدرا لإضفاء الشرعية على السياسة أو السلوك تجاهه، إ صورة الآخر تعبر غالبا عن موازين قوى وعلاقات تراتبية ونزاعية، ومن ثم غالبا ه تعد صورة المهيمن والأقوى تجاه الآخر عن الشعور بالتفوق عليه، وعلى الازدرا والتحقير والكراهية إزاءه.

فالآخر يكون متوحشا ومن البرابرة وكافرا ومتخلفا، وتغذي مكونات هذه الصور وترعاها القوى الاجتماعية المختلفة والطبقات وجماعات المصالح التي تجد فيها تبرير لمصالحها المادية، وللسياسة التي تتوخاها مع هذا الآخر واستغلاله أو الهيمنة عليه، ا حتى تدميره. فصورة الآخر تفيد في تنظيم الخصوصية وإضفاء الشرعية عليها[8].

عادة ما تقوم وسائل الإعلام بربط العدو بالتهديد الدائم، مما يؤدي إلى تضخ صورته لأنه لا وجود لعدو إلا وكان قويا، والعراق خير مثال على ذلك.

إن عملية نزع الطابع الإنساني Dehumanization عن العدو هي أفضل وسي لإضفاء الشرعية على استخدام العنف ضد الآخر، وتقليل الشعور بالذنب المصاحب لما هذا العنف[9].

ويمكن التمييز بين عدة مستويات لنزع الطابع الإنساني[10]:

1- العدو عديم الوجه:

هناك اعتراف في هذا المستوى بالطابع الإنساني للعدو مع فقدان أعض الجماعة الأخرى وأفرادها لسماتهم المميزة، بحيث يبدون جميعا متشابهين كوجوه مقن أو عديمة التغيير أو يصعب التفرقة بينها، ويشار في هذا السياق إلى غطاء الرأس العر أو صور محتجزي الرهائن المرتدين أقنعة في العراق.

2- العدو الشيطاني:

يفقد العدو في هذا المستوى أحد أوجه " إنسانيته " ويتحول إلى مجرد تمثيل للمو والدمار والشر. وقد عكست صورة " **بن لادن** " و "**صدام حسين**" في الإعلام الأمري هذا البعد، كما تقرر توصيف " **بوش** " لأسامة بن لادن بوصفه " الشرير" و كذلك توظ مصطلح محور الشر. وفي المقابل، فإن صورة أمريكا بوصفها الشيطان الأعظم في إير تمثل استبعاد المستهدف ذاته من نزع الطابع الانساني.

3- تجريم العدو:

أي تصوير العدو مجرما مطلوب للعدالة، مثل ما ظهر في أعقاب غزو العراق 2003 من نشر صور قيادات نظام البعث وغيرهم على أوراق اللعب بوصفهم "مطلوبين ". من جهة أخرى، فثمة صورة نمطية للأمريكيين مستمدة من أفلام رعاة البقر بوصفهم "المأمور الطيب" الذي يبحث عن الإرهابيين يصطادهم ويقتلهم.

4- العدو كجماد فاقد الروح والحياة:

في هذا المستوى لا يقتصر تشويه صورة العدو على نزع السمات الإنسانية، بل تصويره كشيء عديم الحياة، وهو ما ظهر مثلا في حرب الخليج الثانية، حيث تم تصوير العدو رمزا وأشكالا على شاشات الحاسب الآلي. كذلك ينتشر استخدام الرموز بوصفها الهدف المراد تدميره أو التعامل معه، وهو ما يجعل التعامل ينتقل من مستوى التعامل مع عدو وضحايا بشريين إلى مستوى التعامل مع أشياء.

5- توظيف المعاني المزدوجة:

يتم في هذا المستوى تمثيل الحياة البشرية للعدو في صورة مجردة أو مختزلة عبر استخدام مصطلحات تنطوي على تدمير للخصم وقتله، دون توضيح ذلك أو تصويره كنتيجة طبيعية. ومن هذه المصطلحات مصطلح " الدمار المصاحب" أو الملازم Collateral Damage لوصف إصابات وخسائر المدنيين، ومصطلح Mega Death لوصف وفاة مليون شخص، أو مسميات " عاصفة الصحراء" أو " أمهات الحروب " أو " تعزيز الحرية "، وغيرها من المصطلحات التي تثير ارتباطا مباشرا بالحياة البشرية.

*** آليات عملية العداء:**

تؤدي وسائل الاتصال دورا كبيرا في تشويه عملية الإدراك لدى التعامل مع صور العدو، والتي قد تؤدي إلى تفسير التحركات السلمية أو الإيجابية لهذا العدو كتحركات عدائية، أو تصوير حالة الهجوم كدفاع والعكس.

وتزيد هذه العوامل من احتمالات تصعيد العداء ومن أهمها[11]:

1- صورة المرآة Mirror Image:

هو مصطلح يعبر عن تشابه صورة العدو لدى كل طرف، بحيث تبدو كما لو كانت صورة في المرآة. فخلال الحرب الباردة مثلا نظر كل من الإتحاد السوفياتي

والولايات المتحدة الأمريكية إلى الآخر بوصفه الطرف المعتدي صاحب الحكومة القا على استغلال الشعوب.

2- خداع القمة السوداء Black Top Illusion:

وهي إحدى الحالات الخاصة لصورة المرآة، حيث يركز كل طرف على صو قيادة الطرف الآخر بوصفها شريرة وقمعية، أما الأعضاء فهم خاضعين لسيطرة قياد واستغلالها.

3- الانتباه الانتقائي Selective Attention:

أي الانتقاء في عملية التفكير في العدو، بالتركيز فقط على الأبعاد والتصرف والتعليقات السلبية المرتبطة بهذا العدو فحسب، واستدعاء للصور السلبية، له مع إغفال صور وتصرفات إيجابية.

4- التحيز في تقديم المصداقية:

يقصد بهذا المبدأ ميل الأفراد إلى تقييم مصدر المعلومة ذاتها الأكثر تفاقا رأيهم بوصفها أكثر مصداقية من مصادر المعلومات التي تقدم رؤية مغايرة.

5- تعايش صورة متعارضة ومتناقضة للعدو:

كأن يتم تصوير العدو بوصفه على درجة عالية من التنظيم والذكاء والقدرة عل تدبير المؤامرات والاحتفاظ بأهداف سرية غير واضحة. وفي المقابل -وفي الوقت نفسه يصور العدو على أنه يفتقد القدرة على التنظيم أو التنفيذ ويسهل خداعه أو الانتصار علي وقد ظهر تعايش مثل هذه الصور المتناقضة للعدو في وسائل الإعلام الأمريكية، ف صور الاتحاد السوفياتي سابقا، والنظام العراقي السابق.

ومن الطبيعي أن الصور المتناقضة لا تقدم عادة في الوقت نفسه، فعلى سبي المثال، تم تصوير "**صدام حسين**" في الولايات المتحدة الأمريكية منذ التسعينات بالتركي على كونه أكبر تهديد للعالم الحر، وفي الآن نفسه تقريبا طرحت صور أخرى لـ"**صدام** بوصفه الطاغية الذي لا يعتمد على التقنيات الحديثة (التكنولوجيا)، ويتسم بمحدود الأفق والقدرة على التخطيط، بل ومحدودية القوة.

*** عوامل تغيير صورة العدو[12]:**

بإمكان وسائل الاتصال تغيير صورة العدو نحو الأحسن، أي نحو الانفراج وه

نتيجة لفشل الخيارات العنيفة في التعامل مع العدو. وتوجد مجموعة من العوامل المعززة لتغيير صورة العدو:

- حدوث تغييرات هيكلية في تطورات النزاع نفسه ووقائعه، أو في السياق الدولي أو الإقليمي لهذا النزاع.
- تغيير في طبيعة التحالفات السياسية، أو تولي أجيال قيادية جديدة السلطة بما يؤدي إلى تغيير صورة العدو.
- تركيز قيادة المجموعة على إحداث إصلاحات داخلية، والتعامل مع النزاعات الخارجية باعتبارها معوقا لمثل هذا الإصلاح .
- فشل الخيارات العنيفة في التعامل مع العدو والحاجة إلى تبني خيارات تفاوضية أو تكيفية في التعامل مع الخصم. وقد يكون هذا الفشل في صورة هزيمة أو عدم قدرة على الاستمرار في خيار مواجهة الخصم لارتفاع تكلفة هذا الخيار، أو غير ذلك من العوامل التي تدفع إلى البحث عن بدائل أخرى للتعامل مع العدو. وترتبط عملية البحث عن بدائل بالتعرف على معلومات جديدة عن الخصوم أو الأعداء، وبالتالي احتمال تغير صورة العدو تدريجيا.

وتشير بعض الدراسات إلى نموذجي " **السادات وغورباتشوف** Gorbatchev " وتغير صورة العدو لدى كل منهما.

كانت الصورة على مدى القرن العشرين الأداة الأبلغ في الترويج للنزاعات ورواية تفاصيل المعارك، ومع التقدم التكنولوجي راحت الفواصل الزمنية التي لا تفصل بين لحظة وقوع المعركة ولحظة بث صورها تتلاشى.

ففي الخامس من ماي 1821، توفي " **نابيليون بونابارت Napoléon Bonapart** " إمبراطور فرنسا، ولم يصل الخبر إلى باريس إلا في أول جويلية عبر لندن، وقد أخذ الخبر أكثر من عشرة أسابيع حتى يصل إلى إعلام القراء، بينما طاف خبر مقتل الرئيس الأمريكي " **جون كينيدي John Kennedy** " وصوره العالم كله خلال خمس دقائق منذ اللحظة الأولى التي أصيب فيها، وبعد ذلك ببضعة أيام كان مشاهدو العالم يعاينون حدثا آخر هو مقتل " **لي أوزوالد Lee Oswald** " المتهم بقتل " **كينيدي**".

وكان هذا أول حدث دولي للقرن الماضي، إذ فرضت الشاشة التلفزيونية وزنها بوصفها وسيلة أساسية، حيث واكب العالم دفن الرئيس عن طريق البث المباشر ومن دون توقف نهارا كاملا.

وقد أدى تقلص الزمن إلى تحولات في صور النزاعات دفعتها من اللهاث وراء الحدث والتعامل مع نتائجه، إلى مقام القدرة على المساهمة في صناعة الحدث نفسه وتحريره أو التأثير في اتجاهاته. وباتت الصورة مسألة قيادة كما تقاد النزاعات.

لقد كانت حرب الخليج الأولى على العراق حربا بصرية حسمتها كاميرا CNN الأمريكية، وهي بهذا المعنى بدت افتراضية غير مرئية ولا تترك آثارا كبرى.

وقد تحول موقع محطة CNN على الانترنت إلى معرض صور Pictures gallery، وقد صنف الصور إلى عناوين أربع [13]:

1 – Warfare ، وتبث منها صور الجنود الأميركيين يقدمون المساعدات إلى المواطنين.

2– Reactions، ركزت فيها على ردود فعل العراقيين واستقبالاتهم الحارة لجنود التحالف.

3- Pows، وفيها عرض لصور المعتقلين والأسرى الأميركيين على أيدي العراقيين وليس العكس.

4- Families of Pows، وهي صور وتعليقات لردود أفعال أهالي الأسرى والمعتقلين من قوات التحالف.

وحرصت محطة CNN على تقديم أفضل الصور في أفضل الظروف خدمة لتوجيهات المؤسسة العسكرية[14].

هكذا، يبدوا الفرق بين بث الصورة بين العربي والغربي، أو بين الأنا والآخر وفسرت العملية بأنها مسألة ثقافية يختصرها السؤال التالي: هل نبث على الشاشة كل هو في المشهد، ومهما كان قاسيا ومرعبا ؟ هذا الفرق بين كل المشاهد وبعضها ه الجديد في معارك الصور، إذ انصرف العرب إلى بث حقائق النزاع كلها وأخبار ومشاهدها كما هي، وفي هذا ربما يكمن نجاح خطوتهم الكبرى في عالم الفضاء.

كانت محطة الجزيرة نجمة القنوات العربية وقد انتقدها وزير الدفاع الأمريكي السابق "**دونالد رامسفيلد Donald Ramsfield**" في مؤتمراته الصحفية، وعدها محد

وزير الإعلام العراقي السابق " **محمد سعيد الصحاف** " يستشهد بها في مؤتمراته بالقول: كما ذكرت الجزيرة أو كما رأيتم على الجزيرة.

فقضية الموضوعية تحتل مكانة تتفاوت باختلاف الأنظمة الإعلامية، فهي تشكل أحد المعايير الأساسية للوظيفة الإخبارية في وسائل الإعلام والاتصال الغربية.وفي دول العالم الثالث ما تزال الموضوعية معيارا غامضا في الممارسات الإعلامية، ولو أنها تشكل مطلبا هاما في العديد من دول العالم الثالث، حيثما تسمح الأنظمة السياسية بتعدد الآراء بدرجة أو بأخرى. أما الشيوعيون، فإنهم يتنكرون صراحة لهذا المعيار طالما كان لكل محتوى إعلامي هدفا حددته مسبقا الأديولوجية الشيوعية.

إن الموضوعية نمط من التغطية الإخبارية يتسم بالسعي من أجل أهداف عديدة من بينها فصل الرأي عن الحقيقة، وتحقيق النزاهة والتوازن بإعطاء الأطراف المختلفة فرصا متكافئة لإبداء وجهات نظرها حتى يتسنى للجمهور الحصول على كل المعلومات اللازمة حول قضية أو حدث من الأحداث، وهي تعني الحياد بدلا من التدخل والمشاركة[15].

ساهمت الموضوعية بهذا المعنى في صياغة معظم التعريفات التي قدمها العلماء للإعلام في الغرب، وقد أخذ الكثيرون عن هؤلاء الغربيين تعريفاتهم للإعلام وأصبح تزويد الجماهير بالمعلومات التي تعينهم على تكوين رأي صائب تجاه قضية ما جزءا من تعريفات عديدة لمفهوم الإعلام. وإذا كانت الموضوعية تعاني في مجتمعاتها الأصلية مشكلات ومآزق عديدة، فمن الضروري أن تكون المشكلات التي تواجهها خارج هذه المجتمعات أكثر حدة.

وتنقسم الآراء حول قضية الموضوعية إلى اتجاهين أساسيين[16] :

أولا: أنها لا تعدو سوى أن تكون خرافة لا سبيل إلى تحقيقها ومجرد بلاغة لفظية لا تستند إلى واقع. وهي بقية باقية من ثنائية ترى الأشياء إما موضوعية وإما ذاتية، وهي ثنائية قديمة لا تستند إلى منهج علمي.

ثانيا: أنها هدف أو رغبة مثالية يمكن أن تتحقق من جانب رجل الإعلام تحدوه الرغبة في أن يكون دقيقا، ونزيها، متوازنا، وغير متحيز وغير متحامل .

إن الموضوعية في عصر العولمة أصبحت هدفا بعيد المنال، لأن النجا الإعلامي أو الصحفي لا يقاس بالقيمة المضافة في المجال الثقافي والمعرفي وبالمنفع الاجتماعية والموضوعية، بل يقاس بالعائد التجاري.

يقول" **محمد حسنين هيكل** ": " إننا نفصل بين الآراء والأخبار في المظهر فقط فالطريقة التي تقدم بها الأخبار تعكس موقفا معينا ندافع عنه ونتمسك به، فليس هنا وسيلة إعلامية في العالم لا تتلون تغطيتها الإخبارية بموقف سياسي أو بآخر. و يستحي من الناحية الإنسانية على أي شخص أن يفصل تماما بين الآراء والأخبار الصرفة"[17].

يقودنا فتح أرشيف التاريخ إلى مجموعات كبيرة من المحطات التي تبرز الأدوا الأساسية للصور في النزاعات. فمن صور الحربين الكونيتين الأولى والثانية وفيها صو " **هتلر Hitler**" وما ألحقه بألمانيا والعالم من آلام ومآسي إلى صور" **ستالين Staline** السيد المطلق في الإتحاد السوفياتي الذي إمتهن تصفية معارضيه، إلى صور الحرو العربية الإسرائيلية والمجازر التي بقت راسخة في أذهاننا.

وتقفز إلى الواجهة صور حرب فيتنام التي خلفت عشرات الآلاف من القتل الأمريكيين، وآثارا نفسية قد يصعب محوها في المجتمع الأمريكي، وهي الصور الت رأيناها تحضر بالتوارد في أثناء الهجوم الأميركي الأخير على العراق. فقد تضاعف الشبه بين النزاعين بعدما صارت صور القتلى والأسرى الأمريكيين تسيطر على شاشا التلفزيون خصوصا، وأنها المرة الأولى منذ حرب فيتنام تدخل فيها الولايات المتح الأمريكية نزاعا تلقى هذا القدر من المعارضة الدولية[18].

ويذكرنا التاريخ أيضا أن الرئيس الروماني " **نيكولاي شاوسيسكو Nicolas Ceausescu** " سقط وقتل بسبب صورة بدا وكأنها تمثل مجزرة جماعية ارتكبها بح شعبه. وعرضت الصورة شبكة تلفزيون رومانية محلية، ومنها انتقلت لتعرض عب شاشات العالم لتؤلب الرأي العام المحلي والعالمي ضده.

كما تابع العالم عبر الأقنية الفضائية لحظة بلحظة الصورة الحدث التي هوى فيـ تمثال الرئيس السابق " **صدام حسين** "، فتدافع الجمهور إلى دوسه وضربه بالأحذية، و حمل هذا المشهد الكثير من الدلالات والمعاني والرموز التي ستبقى من دون شك راسخ في أذهان المشاهدين[19].

لقد أصبحت الصورة تحتل حيزا هاما في إستراتيجيات النزاعات، فقد يمكن نسيان هذا النزاع، لكن الصور تبقى أدلة مرجعية للتاريخ. وعندما يلتقط المصور مشهدا أو لحظة من المأساة، فإنما يحاول تأبيد اللحظة التي تجعل العين لا تنسى.

أبطلت فاعلية الصورة وتأثيراتها النفسية والاجتماعية مفاهيم الإعلام في النزاعات، على الأقل على المستوى اللغوي، فما عادت مهمة الإعلام منحصرة في تغطية النزاعات، بل رفع الأغطية وكشفها عن خباياها وأهوالها ومسبباتها الفعلية. وهذا يقودنا إلى الأسرار التي قد تختزنها النزاعات الدولية والتي كان يسهل تغطيتها في أثناء القيام بنقلها إعلاميا، وهو ما تسمح به الكلمة. لكن حضارة الصورة التي عادة تتقدم أو تلازمه أو تستغني عنه كليا قد تخضع بدورها إلى تحولات، أي تحولات وتشوهات تحد ربما من قدراتها التأثيرية[20].

خاتمة :

لقد غدت الصورة اليوم أساسية في أي نزاع عسكريا كان أم سياسيا، انتخابيا أو اجتماعيا أو عاطفيا. فالصورة هي في صميم العمل الإستراتيجي الهادف إلى الوصول إلى الآخر للتأثير فيه وجعله يميل إلى الجانب المراد. إنها عملية اغتصاب للرأي المكون مسبقا، ومحاولة جاهدة لتعزيزه إذا كان مطابقا، أو العمل على تغييره في حال توجب إعادة تكوينه.

سواء كانت الصورة سلبية أم إيجابية، فهي تطرح مناقشات حادة وتبقى أداة فعالة، وستبقى النزاعات على اختلاف أنواعها ظاهرة مستمرة.

الهوامش :

1 - K. Rubins, in to the image, Culture and the Politics in Field of vision, Rutledge, London, 1996, P. 149.

2 – د.محمد فلحي، صناعة العقل في عصر الشاشة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، 2002، ص.33

3 – شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، السلبيات والايجابيات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 2006، ص 467.

4– محمد سبيلا، نزاع ثقافة الكلمة والصورة، جريدة الحياة، 9 نوفمبر 1994، ص 9.

* علق خبير فرنسي في الاتصال على أهمية الصورة بقوله : صورة واحدة تعادل مائة كلمة ،وتدعيما لقول هذا الأخصائي ، يقول " لانج Lang " أن الواقع الذي يبقى ويستمر هو الواقع الذي يظل في ذاكرة الملايين الذين شاهدوه على شاشة التلفزيون او صفحات الصحف أكثر من تلك القلة التي شاهدت ذالك الواقع في سياقه الحقيقي.

5 – François Bernard Huyghe, L'ennemi à l'ère numérique, PUF, Paris, 2001,P.104
6 - K. Rubins, Op.cit, P.150.
7 - www. Islamonline .net. Arabic /arts/2003.
8 – Couchot,E :Sujet ,Objet,Image,in : nouvelles images nouveau réel , cahiers internationaux de sociologie, PUF,Paris ,1985,P.91
9- Susan Optow, Agression and Violence, « in the Handbook of Conflict Resolution : Theory and Practice, eds M. Deutsch and P.T Coleman, San Francisco, 2000, P 417.
10- http : // ar.wikipedia.org/wiki.
11- Op.cit http : // ar.wikipedia.org/wiki
12- Janice Gross Stein, « Image Identity and Conflict Resolution in Managing Global Chaos: Sources of Responses to International Conflict, eds, chester, USIP Press, 1996, P94.
13- Op.cit, http://ar.wikipedia.org/wiki
14- http://www.lebarny.gov ./Ib/article. asp .
15 - Zelizer B, CNN, The Gulf War and journalistic Practice, Journal of Communication, vol 42, N° 11, hiver 1992, P.66.
16– د. إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص 20.
17 - Herbert Brucker, « What is worng with objectivity », Satuday Review, octobre, 1969, P.77.
18 - Nasser, Munir, Press Politics and Power: Egypt's Heihal and Al Ahram. Ames: Iowa State University Press, 1989, P 61.
19 – Queau ,P, Les Images de la Guerre , culture technique n°14,Neuilly Surseine,1985,P.234
20- François Bernard Huyghe, op.cit, P.107